وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هدايات قصص القرآن في بناء الإنسان والعمران

(قصة نبي الله سليمان عليه السلام نموذجاً)

اسم الباحث/ـة

د/ مصطفى بن أحمد الزكاف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد؛

فإن القصص القرآني الخزانُ الأكبر لهدايات القرآن؛ إذ فيه تمثل الهدى واقعا في الحياة، قائما بين أعين الناس، جعله ربي سننا ومثلات، يعتبر بها الذين يعقلون ويبصرون.

وخير من يقتدى بهم ويهتدى المصطفون الأخيار الذين صنعوا على عين الله، وتحققت بهم كلمات الله حتى غدت معالم هداهم كالجبال الرواسي في هداية الناس؛ لأنهم "تدبير أحكم الحكماء لحياة عباده المختارين من البداية إلى النهاية: كيف علمهم وعلم بهم، وكيف رباهم وربى بهم، كيف بدأ النعمة عليهم وبهم، وكيف أتمها عليهم وبهم؟، كيف صنعهم على عينه؟ واصطنعهم لنفسه؟ وأمدهم بمعيته، ودرجهم في مراقي اليقين حتى قال قائلهم موسى في أحرج مقام: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشُّعَرَاء : ٦٢] "[1]

وهدايات القرآن في قصصهم بينت تلازما شديدا بين بناء الإنسان بالإيمان وإقامة العمران، وقد اخترت نموذجا بديعا من قصص القرآن تجلى فيه هذا الأمر بوضوح، وهي قصة نبي الله سليمان النبي عليه السلام.

هذا وقد استقامت خطة البحث فيما يلي:

تمهيد: مفهوم البحث وموجباته.

المحور الأول: معالم هدايات قصص القرآن في بناء الانسان والعمران.

المحور الثاني: هدى قصة النبي سليمان في بناء الانسان والعمران.

خاتمة: خلاصات وتوصيات.

---

(١)نحو فقه للقصص القرآني د الشاهد البوشيخي مقال بمجلة الهدى ع ١١ و ١٢ سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٩ ص٤-٥ .

هذا وقد استقامت خطة البحث فيما يلي:

تمهيد: مفهوم البحث وموجباته.

أولاً: بيان مفاهيم مصطلحات العنوان:

سأقف باختصار عند المصطلحات المركزية في العنوان وهي كما يلي:

١- الهدايات هو المصطلح المركزي في البحث، فما أصله اللغوي؟ وما مفهومه الاصطلاحي؟ مستقلا ومضموما بالإضافة الى القرآن الكريم؟

الأصل اللغوي: الهدايات جمع هداية: وجذره اللغوي (هدي) ومداره على الدلالة والبيان والإرشاد [١] ؛ وقيده ابن فارس في الأصل الأول ب"التقدم للإرشاد"[٢] بينما قيده الراغب ب"الدلالة بلطف" [٣] ، وكلا القيدين موافق لاستعمال القرآن الكريم.

المفهوم الاصطلاحي: الهداية في موارد القرآن على قسمين: هداية التوفيق، وهداية الدلالة والإرشاد، ومنه مأخذ المفهوم الاصطلاحي وهو: ما أنزله الله سبحانه إرشادا ودلالة لعباده إلى أقوم طريق وأهدى سبيل[٤].

٢- قصص القرآن: القصص مصدر قصص وأصله في اللغة: "تتبع الأثر"[٥] ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القَصَص : ١١] أي تتبعي أثر موسى وخبره، وهو المعنى الذي أخذ الاصطلاح منه، فالقاص يتتبع أثر النبأ ويتلوه على غيره.

وأما في الاصطلاح: فالمراد بقصص القرآن هو: إنباء الله تعالى بأخبار المصطفين الأخيار وما جرى لهم في

---

(١) انظر: مقاييس اللغة والصحاح وتهذيب اللغة (هدي)

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (هدي)

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (هدى)

(٤) تنظر تعريفات أخرى في: مفهوم الهدى في القرآن الكريم الحبيب المغراوي ص: ٣٠ وبعدها

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (قصص)

تبليغهم لرسالة ربهم[١].

٣- الإنسان: أصله في اللغة على الراجح من (أنس) والألف والنون للمبالغة، ومداره على: الظهور والبروز[٢]. والإنس: خلاف الجن[٣]، فالجن خلق مستور عن الإنسان، والثقلان على هذه الأرض نوعان: خلق ظاهر وهو الإنسان، وخلق مستور هو الجن.

وأما في الاصطلاح القرآني: فهو آدم وذريته سواء أكان فردا أو جماعة، ذكرا أو أنثى[٤].

٤- العمران: أصله اللغوي مصدر (عمر) ومداره في اللغة على "نقيض الخراب"[٥].يقال: عمر أرضه:يعمرها عمارة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [التَّوْبَة : ١٩] .

وفي الاصطلاح القرآني يراد به: كل الإنشاءات المعنوية والحسية التي يقوم بها الإنسان تحقيقا لوظيفة الاستخلاف في الأرض[٦].

٥- والمقصود بمفهوم عنوان البحث كاملا: هو الوقوف على ما في قصص القرآن الكريم من هدايات غايتها ترشيد بناء الإنسان والعمران، مع التركيز على قصة نبي الله سليمان عليه السلام.

---

(١) هذا التعريف مستفاد من تتبع الاستعمال القرآني لموارد اللفظ في هذا المفهوم وينظر: بافي التعريفات في بحث: مفهوم القصص في القرآن د سعيدة الرجاني مجلة دراسات مصطلحية ع ١٥- ١٦ ١٤٣٧ ٢٠١٦ ص: ٣٥٣.

(٢) مقاييس اللغة مادة: (أنس)

(٣) مفردات ألفاظ القرآن مادة: (أنس)

(٤) هذا التعريف مستفاد من استعمال القرآن للفظ الانسان في مجموع موارده، وهناك تعريفات أخرى بحسب المجالات انظر مفهوم الانسان في القرآن الكريم والحديث الشريف د احمد بوشلطة ص: ٨٨.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن مادة: (أنس)

(٦) هذا التعريف مستفاد من محاضرة: من العمران إلى القرآن الشاهد البوشيخي ص: ١.

ثانياً: موجبات البحث في الموضوع:

الباحث فيما كُتب عن قصص القرآن يجد أن النظر قد اتجه اليها من زوايا عدة: زاوية التفسير والبيان والبلاغة والتصوير الفني وخصائصه وما إلى ذلك، لكن زاوية لم يهتم بها كثيراً وهي زاوية الهدى؛ وهي المقصودة أساساً من تلاوتها في الكتاب؛ ذلك أن هدى الله "يتركز أولا في القصص القرآني؛ لأن الله عز وجل قال لرسوله وللأمة جمعاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأَنْعَام : ٩٠] ، –ونحن نقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة– ليس لنا طلب غير طلب الهدى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَةِ : ٦] أيّ صراط؟ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَةِ : ٧] هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، هم كما في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النِّسَاء : ٦٩] ، هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، رأسُهم وأئمتهم هم الأنبياء عليهم السلام. ولذلك قال تعالى:﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يُوسُف : ١١١] ففي كل قصة فوائد غزيرة، وفي مجموع القصص فوائد أغزر"[1].

هذا وإن البشرية اليوم على مفترق طرق خطيرة، فإما أن تأخذ بهدى الكتاب المجيد فتولد من جديد، أو أن يرمي بها الشيطان في واد سحيق فتهلك وتبيد.

فلهذا وغيره تتلخص موجبات هذا البحث فيما يلي:

١– ضرورة إعادة الرؤية القرآنية للحياة، الموافقة لطبيعة الخلق، المحافظة على الفطرة، من أجل إقامةِ المنهج القرآني في صياغة الإنسان وفق هدى الله عز وجل.

وإن فقه القصص القرآني هو النور الوحيد الذي يجلي لنا الرؤية كاملة كيف حلت واكتملت، وكيف طردت الظلمات التي غشيت الإنسان مدة من الزمان.

وإن المؤمن ليأسف أشد الأسف من كثرة التأطير اليوم خارج القرآن وهدى القرآن؛ فتقام دورات تكوينية تأطيرية فكرية، معظمها يستقي من أفكار مادية

[1] نظرات في الهدى المنهاجي في سورة الفاتحة د الشاهد البوشيخي ص: ٥.

بحتة، تتمحور حول الإنسان وطاقته، فيستقر في الوهم أن هذا الإنسان يستطيع وحده أن يحقق ما يريد دون حاجة إلى الوحي الهادي كتابا وسنة.

٢- إقامة نماذج الأسوة والقدوة لتكون كالجبال الراسية في حياة الناس؛ إذ الله عز وجل اجتباهم واصطفاهم، وفيهم تجلى الهدى الرباني كله حقيقة قائمة في الحياة، ثم أمر من جاء بعدهم أن يتبعهم قال الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأَنْعَام : ٩٠] فهؤلاء المصطفون الكرام هم الذين يقودون ركب الإيمان، وهداهم الذي جاءهم من الله فيه القدوة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن آمن به.

٣- سنن الله الصارمة التي لا تتبدل في إهلاك المكذبين والجاحدين للحق المبين، فما حاق بالسابقين يحيق باللاحقين؛

ولهذا المعنى ورد مصطلح السنن في مورد مصارع المكذبين وعقابهم، ويقرن بما يبين أن الأولين قد مضى لهم بهذا، فليعتبروا ولينتهوا، وإلا سيحيق بهم ما كان سنة لا تتبدل، يقول الله تعالى :﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأَنفَال ٣٨].ويقول تعالى :﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [غَافِر : ٨٥]

وهذا المعنى هدى وأي هدى في تثبيت أهل الإيمان على الحق، حتى يجيء وعد الله بنصر أوليائه وإهلاك أعدائه.

٤- التمثل بدعاء الفاتحة العظيم، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفَاتِحَة : ٦ - ٧] الذي فيه الدعاء بأمر وحيد وهو : طلب الاهتداء إلى المنهاج القويم، منهاج المنعم عليهم من الصفوة الذين بينهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النِّسَاء : ٦٩] وهذا هو الفوز العظيم طريقاً ورفيقاً.

٥- الإسهام في إعادة بناء العمران وفق هدى القرآن؛ ذلك أن مفهوم العمران في القرآن مفهوم شامل متكامل؛ إذ هو "بناء الانسان بما هو عقيدة وثقافة، وبما هو حضارة وتاريخ، وبما هو فكر ووجدان، وبما هو نفس ونسيج اجتماعي"[١].

وأعظم من قام بالعمران الحق هم الأنبياء عليهم السلام، وفي قصصهم تجلى الإيمان والعمران، صفحتان من صفحات النور في الحياة، اهتدى الإنسان بالإيمان، وحقق آثاره في العمران.

[١] الفطرية: بعثة التجديد المقبلة د فريد الأنصاري ص: ٢٠٩

المحور الأول: معالم هدايات قصص القرآن في بناء الإنسان والعمران:

أولاً: معالم هدايات قصص القرآن في بناء الإنسان.

إن مركزية القرآن في البناء والإصلاح هو الإنسان؛ فلذلك كان الخطاب القرآني عاماً أو خاصاً لهذا الإنسان، فالقرآن ليس خطابا للأعراض والأدوات التسخيرية التي من طبعها أن يحدث لها التطور بفعل الإنسان.

وهذا التوجه بالخطاب لهذا الإنسان يؤكد ثبات هذا القرآن، وصلاحيته لبناء الإنسان في كل زمان ومكان، لأن الله جعل الإنسان ثابتا في صورته وطبيعته وخصائصه ونوازعه، فالخطاب القرآني في قصة آدم عليه منهاج هاد لجميع بني آدم. فلذلك كان النداء في القرآن الكريم (يبني آدم) ليؤكد هذا المعنى الثابت في الاهتداء.

وتركيز القرآن على" الاهتمام بالإنسان لتميزه موقعاً وتكريماً وتعليما؛ لأن الإنسان هو الأساس في النجاح أو في الفشل في أي خطة، أو عمل، أو في أي شيء، وبإصلاح الإنسان اشتغل الرسل، لم يشغلوا بتأليف الكتب عليهم السلام، وإنما اشتغلوا بتأليف الرجال، اهتموا بالبشر، بالتحويل اللازم لبني آدم من الفساد إلى الصلاح لوضع نماذج بشرية صالحة راضية مرضية عند الله تعالى في الواقع العملي، وبعد ذلك فليبلغ الشاهد الغائب"[1]

وهذا الإنسان المكرم المفضل الذي فيه روح من الله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحِجْر : ٢٩]، أنزل الله إليه وحيا روحا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن

[1] نظرات في الهدى المنهاجي في سورة العلق د الشاهد البوشيخي ص: ٣

جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشُّورَى : ٥٢]، فإذا اصطبغت روح الإنسان بأصل الروح النازل من عند الله عز وجل، كان عبد الله الذي يعمر الأرض على وفق هدى الله ورضاه..

وفي القصص القرآني يتجلى الاهتداء الحقيقي لصناعة الإنسان الصالح المصلح؛ ذلك أن الله اجتبى طائفة من البشر جعلهم من المصطفين الأخيار ليكونوا أسوة لغيرهم؛ فصنعهم الله على عينه، وبلغوا رسالات ربهم، التي ولد من خلالها بشر عابدون لله عز وجل.**ويمكن تلخيص هدايات القرآن في بناء الإنسان في معالم كبرى تجلت فيما يلي:**

١- **بناء علم الإنسان وفكره على هدى الله عز وجل:** "ذلك أن أول الإصلاح يبدأ من الأفكار قبل الأعمال والسلوك، فالسلوك تابعٌ لما يعقله القَلْب، فالفكْرُ الأعوجُ يُعْطي السُّلُوك الأعوجَ. والفكر الصحيحُ يعطي السلوك الصحيحَ، ولذلك فالعملُ تابعٌ للعلم ولا عكس.

وهذه نقطة تصحيحية في التفكير الكلي الضخم، لابد أن يصبح التفكير في منتهاه واضحا، وفي مبتدئه واضحا، وفي ارتباطاته في علاقتنا بالله جل جلاله وبهداه الذي جاءنا. لابد أن يكون في غاية الوضوح، ذلك هو تصحيح التفكير" [١]

وأول خطاب في الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم في الآيات الخمس الأول ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العَلَق : ١] تركز الخطاب الآمر على تصحيح الرؤية عن الخالق سبحانه وتعالى وأفعاله العظيمة وموقع هذا الإنسان في الخلق تعليما وإكراما، ولم يتجه الخطاب إلى السلوك والعمل إلا فيما بعد.

[١] نظرات في الهدى المنهاجي في سورة العلق ص: ٣.

وجميع خطابات الأنبياء لأقوامهم تمحورت حول هذه القضية؛ لأن الجاهلية أناخت بكلكلها وخلطت الحق بالباطل، فأصبح الإنسان مخلوط الفكر لا تتضح له رؤية ولا يجيب عن إشكالات الحياة الكبرى في المبدأ والمعاد والرسالات.

ونستفيد هذا الهدى من حوار أول الرسل نوح عليه السلام الذي واجه رجس الشرك الواقع في الأرض كما بينته سورة هود في حوار مبسوط مفتتح بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾ [هُود : ٢٥ - ٢٦]

ثم يعرض القرآن أقوالهم التي تبين عن طمس في البصر والبصيرة ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾ [هُود : ٢٥ - ٢٧]

ثم يجيبهم نوح عن هذا الخلط العجيب والأمر المريج كاشفا لهم عن أصل الأمر، ومبينا لهم أسباب عدم اتباع الحق منهم ابتداء، وموضحا لهم غاية دعوته التي لا يرجو بها أجراً إلا من الله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾ [هُود : ٢٨ - ٣٤] .

وكذلك في محاججات إبراهيم عليه السلام الذي يعد حجاجه مضرب المثل في قوة تحطيم الأفكار الفاسدة، كما كانت أفعاله مضرب المثل في تحطيم الأعمال الباطلة، وبإنصات إلى هذا الحوار في سورة الأنبياء يتجلى هذا الأمر قال تعالى ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [الأَنبِيَاء : ٦٢ - ٦٧].

وصفوة القول: إن هدى القرآن من خلال حوار الأنبياء وجدالهم لأقوامهم يبني الفكر الراشد ويدحض الفاسد، بحجج قوية دافعة، وأساليب بديعة نافعة.

٢- **بناء لسان الإنسان وتسديد قوله وبيانه**: و المقصود باللسان هنا اللغة التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره وأغراضه وقضاياه؛ إذ اللغة وعاء الفكر، ولا يكون التعبير عن الحقائق سديدا حتى يكون التفكير صحيحا، ولأهمية هذا الأمر علم الله الإنسان البيان، وعلم أبانا آدم الأسماء كلها، وأعظم ما علمه أسماء الله جلاله التي لا يمكن للإنسان أن يهتدي إليها إلا بالتلقي والتعليم؛ فلذلك علمه هذه الأسماء، ثم ما تفرع عنها من كلمات تعبر عن معاني الدين والعبادة والتوبة والإنابة، ثم ما يحتاجه الإنسان من إقامة الاستخلاف والعمران فوق هذه الأرض. وهو الذي ينبه عليه التوكيد بلفظ (كلها).

ونستهدي هذه القضية في قصة آدم عليه السلام، فحينما عصى آدم ربه وغوى، وعرف أنه قد أذنب، ولا بد له من التوبة ليغفر له، علمه الله معاني التوبة، وألقى إليه الكلمات فتلقاها قال الله عز وجل: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البَقَرَة : ٣٧]، فلما تلقاها انطلق

لسانه بها هو وزوجه:﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٢٣]

ونستفيد من هذا التعليم كلمات عظمى لابد أن ينطق بها الإنسان ليحقق بها التوبة والإنابة، وكلها تحمل معاني توافق المقام الذي هو فيه؛ إذ المقام مقام توبة وإنابة، ففي البدء (رَبَّنَا) فدعا ربه باسم الربوبية الذي يناسب مقام الدعاء والإنابة، قال ابن تيمية: "الله" هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة؛ ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله و"الرب" هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة"(١).

وقال ابن القيم: "وتأمل كيف صدر الدعاء المتضمن للثناء والطلب بلفظة (اللهم) كما في سيد الاستغفار...وجاء الدعاء المجرد مصدرا بلفظ الرب نحو قول المؤمنين: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عِمْرَان : ١٤٧].

وسر ذلك: أن الله تعالى يسأل بربوبيته المتضمنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره، ويثنى عليه بإلهيته المتضمنة إثبات ما يجب له من الصفات العلى والأسماء الحسنى، وتَدَبر طريقة القرآن تجدها كما ذكرت لك"(٢).

ثم عبر بقوله: ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأَعْرَاف : ٢٣] وهذا تعبير حقيقي لحال الانسان في هذا الموقف، فحين المعصية يكون قد ظلم نفسه؛ إذ المعصية لا تؤثر في جنب الله شيئا وإنما يعود الضرر بها على الإنسان فيحرم نفسه من رضى الرحمن ونعم المنان سبحانه وتعالى.

ثم في سؤال المغفرة والرحمة علاج لحال هذا الإنسان التي أضنته المعصية، فـ"المغفرة أن يسترَ عليه جُرمَه؛ صونًا له من عذاب التخجيل والفضيحة"(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٤/ ١٢-١٣.

(٢) بدائع الفوائد: ٢/١٩٣-١٩٤.

(٣) مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) ٧/ ١٢٤.

والرحمة: النجاةُ من العقاب؛ لتحصيل رضا الله تعالى. فـ "إنه ليس بناجٍ من عقابك أحدٌ إلا برحمتك إيَّاه دون عملِه، وليست أعمالُنا منجيتَنا إن أنت لم ترحَمْنا، فوفِّقْنا لما يرضيك عنا"(١)

فلذلك صارت هذه الكلمات منهاجا يهتدى به في الدعاء فـ"من أشبه آدم بالاعتراف، وسؤال المغفرة، والندم، والإقلاع إذا صدرت منه الذنوب: اجتباه الله وهداه"(٢).

وهكذا جميع الكلمات التي علمها الله للأنبياء تستوعب الخلق كله غيبا وشهادة، ولا يقع هذا إلا بتعليم من العليم الخبير سبحانه وتعالى.

٣- **بناء عمل الإنسان على هدى ونور**: هذا الدين، الذي أكرمنا الله عز وجل به، طبيعته تطبيقية عملية؛ إذ بالعمل تذاق معاني الكلمات وتمثلات الأفكار، فبعد التصور الصريح والتعبير الفصيح، يكون التصرف الصحيح. ولا يكون العمل الصحيح إلا وفق هدى الله جل جلاله؛ فلذلك جاء الخطاب بالعمل ابتداء للرسل قال عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١﴾ [المُؤْمِنُون : ٥١] وأمر باتباعهم في أعمالهم على لسان أجد الرجال المهتدين المصلحين فقال تعالى : ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٢١﴾ [يس : ٢٠ - ٢١]

وكانت أعظم الشهادات لرسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له الله عز وجل لرسول الله بالخلق العظيم، فقال له : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ [القَلَم : ٤] والخلق صبغة عملية.

---

(١) جامع البيان للطبري ٥/ ١٦٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي ص: ٢٨٥

ولخصت السيدة عائشة رضي الله عنها هذا المعنى لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان خلقه القرآن»[1] ، فالقرآن حَالٌّ في رسول الله صلى عليه وسلم بِمَعْناه، وحَالٌّ فيه بعَمَلِه.

ونستهدى من هذا أن الإنسان المهتدي هو الذي يحقق القرآن الكريم عمليا في الحياة.

ومن تتبع هدايات القرآن في عرض النماذج البشرية يجد: "أن الإنسان مجموعة أعمال، استحضر أي شخصية في التاريخ تجد هذه الحقيقة واضحة، إذا ذكرنا فرعون مثلاً في القرآن، هل نرى طوله أو قصره، أو غلظه أو...لا، ولكن نراه مجموعة من أعمال معينة هي التي تكوّن فرعون، موسى: مجموعة أعمال معيَّنة، هي التي تكون لنا شخصية موسى في القرآن ، إبراهيم عليه السلام وهكذا...فالإنسان هو عبارة عن مجموعة أعمال، وحتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. في حوار لنبي من أنبياء الله عز وجل مع قومه، هو سيدنا لوط عليه السلام، قالوا: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧﴾ [الشُّعَرَاء : ١٦٧] ، فهم ينظرون إلى القول وهو أجابهم بالعمل ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨﴾ [الشُّعَرَاء : ١٦٨]"[2]

وعمل الأنبياء في الاهتداء هو الأعلى ذلك أنهم صنعوا على عين الله، وتمثل فيهم وحي الله كاملا؛ فلذلك أمر الله نبيه بالاقتداء بهداهم قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأَنْعَام : ٩٠] . وحتى لو حصل ميل ولو قليل نزل القرآن للتسديد والتقويم مثل قول الله عز وجل : ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾ [التَّوْبَة : ٤٣].

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٧٤٦.

(٢) كيف يصوغ القرآن الإنسان د الشاهد البوشيخي ص: ٣ (محاضرة مرقونة)

وقد يكون التسديد بالابتلاء أحيانا كما حصل ليونس عليه السلام ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصَّافَّات : ١٤٠ - ١٤٤] . وكل ذلك من أجل أن يخلصوا للاقتداء وللاهتداء، حتى لايبقى أي عذر لأحد في عدم اتباعهم.

والأنبياء كانوا سباقين للأعمال فلا تخالف أعمالهم أقوالهم كما قال صالح عليه السلام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هُود : ٨٨]

ثانياً: معالم هدايات قصص القرآن في بناء العمران:

العمران كما فهم من معناه العام هو القيام بعمارة هذه الأرض بما فرض وأنعم، وفق سنن التذليل والتسخير من أجل غاية العبادة.وهو الصورة الحقيقية لفكر الإنسان ولسانه وعمله فحينما يكون الإنسان صحيح الفكر سديد القول، رشيد الفعل، يتحول كل ذلك إلى عمل عمراني نافع.

وهنا هداية كبرى تستفاد من واقع تنزل القرآن الذي تلقاه الجيل الأول الراشد؛ إذ كان القرآن يتنزل والعمران يقام على وفق هدى الله سبحانه، أي أصبح القرآن بعد أن حل في الإنسان مقيما للعمران وحارساً لله.

١ – إقامة العمران:

فأما إقامة العمران فتمثلت في إطلاق طاقات الإنسان وتحريره من الطغيان، فالطغيان عدو العمران، يفسده ويدمره.

فحينما يتحرر الإنسان من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ينطلق في الحياة عبداً معمراً، يخرج مواهبه التي جعلها الله فيه ويفيد البلاد العباد.

فبعد أن كان العبيد والضعفاء محجورا عليهم، منبوذين في المجتمع، وجدوا في الرسل باب الفرج فاتبعوهم، ومع ذلك قام المستكبرون بمساومة الرسل في

طردهم قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [الشُّعَرَاء : ١١١] ثم يطالبونه بطردهم فيجيبهم بالهدى القويم: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾ [الشُّعَرَاء : ١١٤ - ١١٥]

وفي قصة ابني آدم التي ذكرها القرآن هداية ونور في الحفاظ على أصل هذا العمران وبانيه وهو الإنسان، فيعرض القرآن نموذجين: نموذج إصلاح عمراني، ونموذج مفسد تخريبي ، **فالنموذج الإصلاحي** اتبع هدى الله فقال ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ [المَائِـدَة : ٢٨] .

وأما النموذج المفسد فاتبع هواه:﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المَائِـدَة : ٣٠]

وفي قصص الأنبياء هدايات عمرانية عظيمة، فنوح عليه السلام علمه الله صناعة السفن، وإبراهيم أمره ببناء البيت ومعه ابنه إسماعيل فرفع بنيانه. وداود علمه الله أسلحة الدفاع عن النفس والدين من الدروع وغيرها قال تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾ [الأَنبِيَاء : ٨٠].

وخلاصة الهدى أن الأنبياء خير من أقام في هذه الحياة العمران؛ وهم الذين تحقق فيهم الاستخلاف بالإيمان، وفيهم ظهر المستوى الإنساني العالي الذي يريد أن يكون ينال حسنة الدنيا والآخرة، فلم يقفوا قط تجاه الحضارة والعمران، بل تهيئوا لذلك وسعوا إليها سعيا، وأزالوا الفساد والترف والعناد الذي يقف سدا منيعا في تحقيق العمران حتى أصبح العمران صورة ناصعة لتجليات الإيمان .

٢- حراسة العمران:

وأما حراسة العمران فتجلى في النهي عن سبيل المفسدين، يقول الله عز وجل حكاية وصية موسى لأخيه هارون:

﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأَعْرَاف : ١٤٢] ، وكذلك نهيهم عن الإفساد في الأرض في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأَعْرَاف : ٥٦] ، يقول القرطبي في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البَقَرَة : ٢٠٤ - ٢٠٥]"

دلت الآية على الحرث وزراعة الأرض، وغرسها بالأشجار حملا على الزرع، وطلب النسل، وهو. نماء الحيوان، وبذلك يتم قوام الإنسان. وهو يرد على من قال بترك الأسباب "[1].

وقد عرض القرآن نماذج من المفسدين في الأرض قارون وفرعون وهامان. فقارون آتاه الله عز وجل مالا وفيرا فبنى فأقام الدور والقصور، لكن يشكر للعزيز الغفور، فقد أرشده قومه الراشدون إلى الهدى القويم ونهوه عن سبيل المفسدين، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القَصَص : ٧٧]. فلم يهتد بقوله فحقت عليه كلمة الله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القَصَص : ٨١] وهذه سنة الله فيمن استخدم العمران للإفساد في الأرض.

ومن هنا نستهدي أمراً وهو أن "العمران الحضاري تحصّنه التقوى ويسقِطُه الظلم والفساد فالعمران الحضاري إذا قام على الحقّ وعلى التَّقْوى والصَّلاح يباركه الله، ويَحيا به أهلُه حياة طيّبة، وإذا قام على الشِّرْك والظلم والاستِكْبار في الأرض، دمَّره الله، كعمران أقوام: هود وصالح وفرعون وأمثالهم، فعمران

[1] الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٣/ ١٨.

هؤلاء الكفَّار زائل وخراب؛ لأنَّه استِخْراب في الأرْض وليس استِعْمارًا لها، فحقَّ عليهم القول بالدَّمار بمقتضى سنَّة الله في الأمم الكافِرة؛ كما قال – تعالى – في شأْن عاد وثمود :﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفَجْر : ٦ - ١٣][1]

(١) التقوى والعمران الحضاري في القرآن د محمد البوزي بحث منشور في (موقع الألوكة على الشابكة).

المحور الثاني: معالم هدايات القرآن في بناء الانسان والعمران من خلال قصة سليمان. عليه السلام.

أولاً: قصة سليمان وخصائصها في القرآن:

صرف الله سبحانه وتعالى قصة سليمان في أربع سور: الأنبياء والنمل وسبأ وص . وقصة سليمان قصة متفردة جعلها الله نموذجاً لهدى متفرد في الجمع بين النبوة والملك؛ إذ النبوة تقتضي البلاغ، والملك يقتضي تدبير الأمور بإحكام؛ فلذلك قص الله سبحانه من أمره ما جعله الله قدوة يهتدى به في هذا في الأمر؛ ذلك أن لكل قصة في القرآن مقاصد خاصة في الهداية، فالرسل كثر منهم من قص الله علينا أمرهم ومنهم من لم يقصص، وفيما قصه الله علينا هدايات مختلفة، وكل قصة تعالج نوعا من أنواع الفساد في الأرض.

فقصة سليمان اختصت بما يلي:

١. النبوة والملك في الوالد والولد داود وسيلمان عليهما السلام: قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النَّمل : ١٦] وقال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأَنبِيَاء : ٧٨ - ٧٩]

٢. تعليم الله لسليمان عليه السلام علماً خاصاً وإيتاؤه من كل شيء قال الله تعالى:﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النَّمْل : ١٦] .

٣. هبة الله لسليمان ملكاً لم يهبه لأحد من بعده: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص : ٣٥] .

٤. سعة سلطانه وقوة ملكه وكمال نفوذه؛ فسخر له الريح والجنود بأنواعها وأصنافها من الجن والانس والطير وغيرها قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ

مَّـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ [ص : ٣٦ - ٤٠]، وقال أيضا: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النَّمْل : ١٧]

٥. عرض جانب القوة في قصته؛ إذ لم يذكر معها الاستضعاف والإيذاء له وللذين آمنوا معه، كما هو الغالب على قصص النبيين والمرسلين، وهذا يعني أن الحق لا يكون ضعيفا دائما، بل هناك سنن ربانية يبنى بها الحق فيقوى ويستمر على ذلك. وهذا ما كان في زمن داود وسليمان، كما يستفاد من قصص القرآن، ومنها ما ذكر في سورة ص في استعراض الخيل المرابطة المعدة للجهاد قال تعالى: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص : ٣١ - ٣٣] .

ثانياً: الهدى المنهاجي من قصة سليمان–عليه السلام– في القرآن في بناء الإنسان والعمران.

قصة سليمان نموذج منهاجي فريد، هدانا الله بها في جوانب كثيرة من شؤون الحياة، من بناء عبد الله الصالح القوي، وإقامة الدين في الناس، وتحقيق العدل بينهم، وبناء العمران، والاستفادة مما سخر الله في بناء الحق ونشر دعوة الإسلام.

وسأقف عند أبرز معالم هذا الهدى في بناء الإنسان والعمران، وهما يمتزجان ولا ينفصلان **وهي كما يلي:**

١- العلم أعظم منة من الله جل جلاله على عباده: فلذلك افتتح الله قصة دواد وسليمان بهذه المنة العظمى فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النَّمْل : ١٥] والعلم كله مصدره من العليم الوهاب سبحانه؛ فلذلك يحرص سيدنا سليمان على نسبة العلم إلى الله في جميع المواقف، ولاسيما في مقام القوة والنصر مثل قوله عند

وفادة ملكة سبأ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النَّمْل : ٤٢]

وهكذا ينبغي أن يكون؛ إذ "اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره، وأن يتوجه إلى الله بالحمد عليه، وأن ينفقه فيما يرضي الله الذي أنعم به وأعطاه. فلا يكون العلم مبعدا لصاحبه عن الله، ولا منسيا له إياه. وهو بعض مننه وعطاياه، والعلم الذي يبعد القلب عن ربه علم فاسد، زائغ عن مصدره وعن هدفه. لا يثمر سعادة لصاحبه ولا للناس، وإنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار؛ لأنه انقطع عن مصدره، وانحرف عن وجهته، وضل طريقه إلى الله.

ولقد انتهت البشرية اليوم إلى مرحلة جيدة من مراحل العلم، بتحطيم الذرة واستخدامها.

ولكن ماذا جنت البشرية حتى اليوم من مثل هذا العلم الذي لا يذكر أصحابه الله، ولا يخشونه، ولا يحمدون له، ولا يتوجهون بعلمهم إليه؟ "(١)

ومهما أوتي الإنسان من العلم فلم يؤت إلا القليل؛ وقد يعلم الله عز وجل خلقا تراه أقل منك علما وخُبرا، وهذا ما جرى مع الهدد سليمان حين أخبر سليمان بعذر الغياب ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النَّمْل : ٢٢].

ونستهدي من هذا الموقف أنه لا ينبغي للإنسان أن يستنكف أبدا عن طلب العلم ولو كان من غير مظنته.

٢- النعم والمنن تقابل بالحمد والشكر لله رب العالمين: فالحمد شعار الأوابين، وهو العنوان الذي ينطلق به اللسان عند الإنعام، فالحمد نسبة الخير لصاحبه، واعتراف بالفضل منه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له. والشكر لله: تصور النعمة وإظهارها (٢).

(١) قصص الرحمن في ظلال القرآن أحمد فائز ٤/ ٤٩

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (شكر).

وقد تجلت هذه الهداية بقوة في مواقف من قصة سليمان، فعند سماع خطبة النملة وإدراكه لكلامها انطلق لسانه بالشكر دعاء، مغتنما لهذا المقام ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النَّمْل : ١٩] وعند إحضار قصر ملكة بلقيس ووضعه بين يديه قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النَّمْل : ٤٠] وقد أمر الله آل داود أن يعملوا شكرا لله، لا للتباهي والتعالي والتفاخر فقال: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سَبَإ : ١٣] إذ الشكر أعظم مقيد للنعم وحارس لها.

٣- الابتلاء يسبق العطاء: جرت سنة الله أن يبتلي العبد ويمحصه قبل أن يعطيه،

وهذه الهداية نستفيدها من قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص : ٣٤ - ٣٦] فبعدما فتن أناب واستغفر دعا ربه بأن يهب له هبة عظيمة لم تسبق ولم تلحق. فوهب له ربه ما لا يخطر على بال.

٤- عطاء الوهاب لا يمنعه شيء، فاطلب من ربك ما تشاء: وقد وقر هذا المعنى يقينا في قلب سليمان فدعا ربه أن يهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص : ٣٥]

٥- تسخير هبات الرحمن في إصلاح أحوال الإنسان وبناء العمران: وقد تجلى هذا الاستهداء كثيرا في قصة سليمان، فمنها إقامة العدل بين الناس ورد المظالم إلى أصحابها قال تعالى ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ

دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأَنبيَاء : ٧٨ - ٧٩] والعدل أصل سعادة الإنسان وأساس استمرار العمران.

وكذلك سخر ما أعطاه الله في بناء العمران لإفادة الإنسان قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ [سَبَإ : ١٢ - ١٣]

٦- الحكم تحمل مسؤولية وليس ترفاً وسلماً لتحقيق منافع شخصية: وقد تجلى في مواقف منها قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾﴾ [النَّمْل : ٢٠ - ٢١] ومن تحمله للمسؤولية وإشرافِه بنفسه على أعمال العمران موتُه على كرسي الحكم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سَبَإ : ١٤]

٧- إنقاذ الآخرين وإغاثتهم وإنذارهم من الهلاك فطرة طبيعية في خلق الله، وقد تجلت هذه الهداية العظيمة في خلق النملة الصالحة نداء وإرشادا وإنذارا وإعذارا قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النَّمْل : ١٨].

٨- إعداد القوة في نشر الدعوة: وقد تجلى هذا في قصة سليمان كثيرا، ومنها ما نستهديه من مراسلته ملكة سبأ وخطابه القوي في قوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النَّمْل : ٣٧].

٩- نشر الدعوة قائم على الإخلاص لله ذي الجلال وليس جباية للأموال: ونستهدي هذا من محاولة ملكة سبأ اختبار سليمان؛ لتستبين هل هو من المرسلين المصلحين أم من الملوك المفسدين؟ قال تعالى في شأنها: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النَّمْل : ٣٥-٣٦] ﴾

١٠- الإسلام ضامن لكرامة الإنسان وحارس لنعمة العمران: نستهدي من موقف ملك سبأ وإعلانها حين قبلت الحق: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّمْل : ٤٤] فحين أسلمت شُرِّفت وكُرمت، فلا إفساد ولا ظلم ولا استعباد، وإنما هي حياة كريمة بإسلام الوجه لله الواحد القهار معا، فهي وسليمان سواء عبادا لله عز وجل، ونستفيد هذه العزة والشرف من قولها: (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) ولم تقل أسلمت لسليمان.

هذه معالم كبرى للهدايات من قصة سليمان عليه السلام، وما زال بحرها فياضا بالهدى الرباني، الذي يتجلى في كل آية؛ بل في كل كلمة اختارها الله في نبإ قصة سليمان عليه السلام.

خاتمة:

أولاً: خلاصات:

١- الإقبال على القرآن بمقصد الاستهداء بكلمات الله أعظم ما يحقق به العبد غاية هذا الكتاب في نفسه.

٢- قصص القرآن أعظم خزان للهدى الربانى في كتابه؛ حيث تمثل فيه الوحي حقيقة واقعية في الحياة.

٣- قصص المصطفين الأخيار في القرآن جعلها نجوما هاديات في هداية الإنسان، وجبالاً راسيات في تثبيت الحق الذي أراده الرحمن.

٤- قصص المصطفين شاملة لبناء الإنسان والعمران وهما يتكاملان ولا يفترقان

٥- قصة سليمان في القرآن نموذج منهاجي متكامل في بناء الإنسان والعمران، وأنه لا استقرار للعمران الا بالإيمان.

ثانياً: توصيات:

١. تعميق البحث في القرآن الكريم من زاوية الهدى، وذلك بإشاعة هذا الأمر في البحوث العلمية وجعله ركنا ركينا في منهجية التعامل مع كتاب الله عز وجل

٢. إعادة قراءة قصص القرآن وفق منهج الهدايات القرآنية، وتنويع الطرق لنشرها في الناس من مختلف الفئات والأعمار.

٣. تخصيص كتب في قصة من قصص القرآن، وذلك بجمع مضامينها، وتبيين ومقاصدها واستخراج هداياتها.

٤. العمل على استخلاص منهج متكامل في كيفية استنباط الهدى من القصص القرآني.

٥. تخصيص مؤتمر خاص بهدايات القصص القرآني.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع:

- بدائع الفوائد لا بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ٢٠٠٣.

- تهذيب اللغة لابي منصور الازهري (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١م

- التقوى والعمران الحضاري في القرآن د محمد البوزي (بحث منشور في موقع الالوكة على الشابكة)

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

- الفطرية: بعثة التجديد المقبلة د فريد الأنصاري منشورات رسالة القرآن المغرب ٢٠٠٣م

- قصص الرحمن في ظلال القرآن أحمد فائز مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٥م

- كيف يصوغ القرآن الإنسان د الشاهد البوشيخي (محاضرة مرقونة)

- مجموع الفتاوى تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

- مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة:الثالثة ١٤٢٠ هـ

- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان داودي دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ

- مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف د احمد بوشلطة منشورات الحلبي بيروت ٢٠٠٧م

- مفهوم الهدى في القرآن الكريم. تأليف : د . الحبيب مغراوي. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم سنة النشر ٢٠١١.

- مقاييس اللغة لابن فارس(٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام هارون دار الفكر ١٩٧٩م

- مفهوم القصص في القرآن الكريم د سعيد الرجاني مجلة دراسات مصطلحية مبدع فاس ع ١٥– ١٦ ١٤٣٧ ٢٠١٦ م

- من القرآن الى العمران د الشاهد البوشيخي مقال في مجلة حراء استانبول س٨, ع٣٥ ٢٠١٣م

- نحو فقه للقصص القرآني د الشاهد البوشيخي مقال بمجلة الهدى ع ١١ و ١٢ سنة ١٤٠٥ – ١٩٨٩ ص٤–٥ .

- نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم – د. الشاهد البوشيخي. مؤسسة البحوث والدراسات العلمية مبد فاس ٢٠١٩م.